

حكم تارك الصلاة

— إن هذه المسألة من مسائل العلم الكبرى ، وقد تنازع فيها أهل العلم سلفاً وخلفاً .

— فقال الإمام أحمد بن حنبل : تارك الصلاة كافر كفرأ مخرجاً من الملة ، يُقتل إذا لم يتب ويصل .

— وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي : فاسق ولا يكفر .

— ثم اختلفوا ، فقال مالك والشافعي : يجب على الحاكم أن يمهلـه ثلاثة أيام ، فإن صلى فيها ، وإلا قتله حداً .

— وقال أبو حنيفة : يجب على الحاكم أن يحبسه ويضربه حتى يصلي ولا يُقتل .

— وإذا كانت هذه المسألة من مسائل النزاع ، فالواجب ردها إلى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

— لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (١) .

(١) سورة الشورى : آية : ١٠ .

— ولقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١) .

— ولأن كل واحد من المختلفين لا يكون قوله حجة على الآخر لأن كل واحد يرى أن الصواب معه ، وليس أحدهما أولى بالقبول من الآخر ، فوجب الرجوع في ذلك إلى حكم بينهما وهو : كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

— وإذا رددنا هذا النزاع إلى الكتاب والسنة ، وجدنا أن الكتاب والسنة كلاهما يدل على كفر تارك الصلاة ، الكفر الأكبر المخرج من الملة ، وفيما يلي بيان ذلك :

— أولاً : من الكتاب :

— قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ (٢) .

— ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة ، أن الله اشترط لثبوت الأخوة بين هؤلاء المشركين ، وبين المؤمنين ثلاثة شرط :

— أن يتوبوا من الشرك .

(١) سورة النساء : آية : ٥٩ .

(٢) سورة التوبة : آية : ١١ .

— أن يُقيموا الصلاة .

— أن يؤتوا الزكاة ^(١) .

— فإن تخلف أحد هذه الثلاثة لم يكونوا إخوة لنا في الدين .

— والأخوة في الدين ، لا تنتفي إلا حيث يخرج المرء من الدين بالكلية ، فلا تنتفي بالفسوق ، والكفر دون الكفر .

— ألا ترى إلى قوله تعالى في آية القصاص من القتل : ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ ^(٢) .

— فجعل الله القاتل عمداً ، أخا للمقتول ، مع أن القتل عمداً من أعظم الكبائر .

— ثم ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي

^(١) إلا أن مسألة الزكاة فيها خلاف بين أهل العلم هل يكفر الإنسان إذا تركها أو لا يكفر ؟ وفيه عن أحمد روايتان .

لكن الذي تدل عليه السنة أن تارك الزكاة لا يكفر ، ويدل لذلك حديث أبي هريرة : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُخِي عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِينَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ " أخرجه مسلم . فإن هذا الحديث يدل على أنه لا يكفر بمنع الزكاة ، إذا لم يكفر لم يكن له سبيل إلى الجنة ، وعلى هذا فتكون الزكاة خارجة من هذا الحكم بمقتضى دلالة السنة . فقه العبادات لابن عثيمين ص : ١١٢ .

^(٢) سورة البقرة : آية : ١٧٨ .

تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ
وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ^(١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا
بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴿١﴾ .

— فأثبت الله تعالى الأخوة بين الطائفة المصلحة ، والطائفتين
المقتلتين . مع أن قتال المؤمن من الكفر ، كما ثبت في الحديث
الصحيح :

— فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : " سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " ^(٢) .

— لكنه كفر لا يخرج من الملة ، إذ لو كان مخرجاً من الملة
ما بقيت الأخوة الإيمانية معه ، والآية الكريمة قد دلت على بقاء
الأخوة الإيمانية مع الاقتتال .

— وبهذا علم أن ترك الصلاة كفر مخرج عن الملة ، إذ لو كان
فسقاً ، أو كفراً دون كفر ، ما انتفت الأخوة الدينية به ، كما لم
تنتف بقتل المؤمن وقتاله .

(١) سورة الحجرات : آية : ٩ : ١٠ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

— ثانياً : من السنة :

— هل أحد من الناس يزعم أنه أعلم من النبي ﷺ في أحكام الله عز وجل ؟

— وهل أحد يدعى أنه أنصح من رسول الله ﷺ للخلق ؟

— وهل أحد يزعم أنه أفصح من الرسول ﷺ فيما ينطق به ؟

— وهل أحد يزعم أنه أعلم من النبي ﷺ فيما يريد به ؟

— كل هذه الأوصاف أو كل هذه الأمور الأربعة لا يمكن لأحد أن يدعيها ، فإذا كان نبينا محمد ﷺ وهو أعلم الخلق بشريعة الله وأنصح الخلق لعباد الله ، وأفصح ، وأعلم الخلق ، فيما ينطق به يقول : " إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ : تَرْكُ الصَّلَاةِ " (١) .

— ويقول : " الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ " (٢) .

— والمراد بالكفر هنا : الكفر المخرج عن الملة ، لأن النبي ﷺ جعل الصلاة فصلاً بين المؤمنين والكافرين ، ومن المعلوم أن ملة

(١) أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن بريدة رضي الله عنه ، وصححه الألباني .

الكفر ، غير ملّة الإسلام ، فمن لم يأت بهذا العهد : فهو من الكافرين .

— ومما يزيدك أيها القارئ توضيحاً على أهمية الصلاة ، وأن تركها كفر ، ما ورد في الحديث الصحيح : عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

" أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ " (١) .

— فعلى المرء أن يقول بما يقتضيه كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ ولا يلاحظ أي اعتبار يخالف ذلك .

— ومن أقوال الصحابة :

— عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرُونَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرَكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ (٢) .

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

— وقد حكى إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة غير واحد من أهل العلم ^(١) .

— وذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله : عشرة وجوه في أن تارك الصلاة يكفر الكفر الأكبر : في كتاب شرح العمدة ^(٢) .

— وأورد الإمام ابن القيم رحمه الله : أكثر من اثنين وعشرين دليلاً على كفر تارك الصلاة الكفر الأكبر : في كتاب الصلاة ^(٣) .

— وقال الإمام ابن القيم : وقد دل على كفر تارك الصلاة ، الكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة ^(٤) .

— تنبيه :

— إن قال قائل : ألا يجوز أن تحمل النصوص الدالة على كفر تارك الصلاة على من تركها جاحداً لوجوبها ، لا من تركها تهاوناً وتكاسلاً .

^(١) انظر المحلي لابن حزم ج ٢ ، ص : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، وكتاب الصلاة لابن القيم ص : ٢٦ ، والشرح الممتع لابن عثيمين ج ٢ ، ص : ٢٨ .

^(٢) انظر شرح العمدة لابن تيمية ج ٢ ، ص : ٨١ : ٩٤ .

^(٣) انظر كتاب الصلاة لابن القيم ص : ١٧ : ٢٦ ، فقد ذكر عشرة أدلة من القرآن واثنى عشر دليلاً من السنة وإجماع الصحابة .

^(٤) كتاب الصلاة : ص : ١٧ .

— لا يجوز ذلك لأن فيه محذورين :

— الأول :

— أنك ألغيت الوصف الذي رتب عليه الحكم وهو الترك .

— فإن الشارع علق الحكم بالكفر : على الترك ، دون الجحود .

— ورتب الأخوة في الدين على إقامة الصلاة ، دون الإقرار

بوجوبها .

— لم يقل الله تعالى : فإن تابوا وأقروا بوجوب الصلاة .

— ولم يقل النبي ﷺ : بين الرجل وبين الشرك والكفر : جحد

وجوب الصلاة .

— أو العهد الذي بيننا وبينهم : الإقرار بوجوب الصلاة ، فمن جحد

وجوبها فقد كفر .

— ولو كان هذا مراد الله تعالى ورسوله لكان العدول عنه خلاف

البيان الذي جاء به القرآن الكريم .

— قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(١) .

— وقال تعالى مخاطباً نبيه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

^(١) سورة النحل : آية : ٨٩ .

مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿١﴾ .

— الثاني :

— أنك جعلت وصفاً يتعلق به الحكم لا يدل عليه اللفظ : وهو الجحد .

فأين الجحد في قول الرسول ﷺ : " فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ " .

— ثم إننا نقول : إن جحود وجوب الصلوات الخمس موجب لكفر من لا يُعذر بجهله فيه ، سواء صَلَّى ، أم تَرَكَ .

— فلو صَلَّى شخص الصلوات الخمس وأتى بكل ما يعتبر لها من شروط ، وأركان ، وواجبات ، ومستحبات ، لكنه جاحد لوجوبها لكان كافراً ، مع أنه لم يتركها (٢) .

— فتبين بهذا واتضح : أن من تركها متهاوناً متكاسلاً فهو كافر أما من جحدها : فهو كافر سواء صَلَّى ، أم لم يَصِلْ .

— فإن قال قائل : ما هو الجواب عن الأدلة التي استدل بها من

لا يرى كفر تارك الصلاة ؟

(١) سورة النحل : آية : ٤٤ .

(٢) حكم تارك الصلاة لابن عثيمين ص : ١٢ .

— نقول : من تأمل الأدلة التي استدلت بها من يقول أنه لا يكفر وجدها لا تخرج عن ما يلي :

— أولاً : إما أنها قيدت بوصف يمنع معه ترك الصلاة :

— مثل قوله ﷺ في حديث معاذ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ " (١) .

— فتقييد الإتيان بالشهادتين بإخلاص القصد ، وصدق القلب ، يمنعه من ترك الصلاة ، إذ ما من شخص يصدق في ذلك ، ويخلص إلا حمله صدقه ، وإخلاصه ، على فعل الصلاة ولا بد فإن الصلاة عمود الإسلام ، وهي الصلة بين العبد وربّه ، فإذا كان صادقاً في ابتغاء وجه الله ، فلا بد أن يفعل ما يوصله إلى ذلك ، ويتجنب ما يحول بينه وبينه .

— وكذلك من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه ، فلا بد أن يحمله ذلك الصدق على أداء الصلاة مخلصاً بها لله تعالى ، متبعاً فيها رسول الله ﷺ لأن ذلك من مستلزمات تلك الشهادة الصادقة .

(١) أخرجه البخاري .

— فالإقرار بالشهادة : يقتضي العمل بها .

— وإقامة الصلاة : من مقتضيات العمل بشهادة أن لا إله إلا الله .

— وقد قال رسول الله ﷺ : " رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ " ^(١) .

— فهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به ، وإذا سقط العمود سقط ما بني عليه .

— وقال عمر رضي الله عنه : لاحظ في الإسلام لمن ترك ترك الصلاة . — والخط : أي النصيب .

— ثانيًا : إما أنها قيدت بحال يعذر فيها بترك الصلاة :

— كالحديث الذي روي عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ " — الحديث — وفيه : " وَتَبَقَّى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ ، يَقُولُونَ : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَنَحْنُ نَقُولُهَا " فَقَالَ لَهُ صِلَةَ : مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ ، مَا صَلَاةٌ ، وَلَا صِيَامٌ ، وَلَا نُسُكٌ ، وَلَا صَدَقَةٌ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ

^(١) أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

حَذِيقَةُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ فَقَالَ : " يَا صِلَةَ تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا " (١) .

— فَإِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْجَتَهُم الْكَلِمَةُ مِنَ النَّارِ : كَانُوا مَعْذُورِينَ بِتَرْكِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ عَنْهَا ، فَمَا قَامُوا بِهِ هُوَ غَايَةُ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ، وَحَالَهُمْ تُشَبِّهُ حَالُ مَنْ مَاتَ قَبْلَ فَرَضِ الشَّرَائِعِ أَوْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنْ فَعْلِهَا ، كَمَنْ مَاتَ عَقِبَ شَهَادَتِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ مِنْ فَعْلِ الشَّرَائِعِ ، أَوْ أَسْلَمَ فِي دَارِ الْكُفْرِ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ مِنَ الْعِلْمِ بِالشَّرَائِعِ .

— ثَالِثًا : إِمَّا أَنَّهَا أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ لَا تَقَاوِمُ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ .

— وَلَيْسَ فِي النُّصُوصِ أَنْ تَارِكَ الصَّلَاةَ مُؤْمِنٌ ، أَوْ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَوْ يَنْجُو مِنَ النَّارِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَحُوجُّنَا إِلَى تَأْوِيلِ الْكُفْرِ الَّذِي حَكَّمَ بِهِ عَلَى تَارِكَ الصَّلَاةِ .

— وَمِنْ الْأُمُورِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ :

١— يَعدُّ مِنَ زَمَرَةِ الْكَافِرِينَ .

٢— لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُوَدِّي الصَّلَاةَ وَسَائِرَ الْأَرْكَانِ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ .

٣- لا تقبل شهادته .

٤- إذا مات لا يغسل ، ولا يكفن ، ولا يُصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، لأنه ليس منهم ، وإنما يخرج به إلى مكان منفرد فيدفن لئلا يتأذى الناس برائحته ، أو يتأذى أهله بمشاهدته .

٥- وفي الآخرة فقد أعد الله له جهنم وساءت مصيراً ، ويكون مخلداً فيها إن لم يتب قبل الموت ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿ (١) .

وأسفاه عليك يا تارك الصلاة

— يا تارك الصلاة : هل فكرت يوماً أن تارك الصلاة عامداً متعمداً ومات على ذلك فهو كافر .

— يا تارك الصلاة : هل فكرت يوماً أنك ستكون من أصحاب النار ، فقد قال تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ

(١) سورة الأحزاب : آية : ٦٤ : ٦٦ .

الْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ .

— يا تارك الصلاة : هل فكرت يوماً أن أول ما تحاسب عليه من عملك يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت ، فقد أفلحت ونجحت وإن فسدت فقد خبت وخسرت ؟

— يا تارك الصلاة : هل فكرت يوم تموت فيحملك أهلك إلى قبرك ويتركوك ، ولم يبق معك إلا عملك ، ثم تسأل عن الصلاة .

— وقد بلغنا عن طريق الدعاة الثقة : أن شاباً قد توفي منذ بضعة سنوات بدولة الأردن ، وذهب الناس كي يدفنوه — يضعوه في قبره حيث أن المقابر في الأردن ، وفي السعودية .. إلخ ، تختلف في نظامها عن المقابر المصرية ، فهناك يضعوا الميت في اللحد الشرعي — حيث يحفرون له قبره في الرمال — فلما ذهبوا وحفروا له قبره .

— يقول الشهود : والله ما أن إنتهينا من حفره حيث رأينا ثعباناً ضخماً يقف في اللحد على ذيله ، وينتظر نزول الميت ، فابتعدنا وحفرنا له حفرة ثانية فوجدنا نفس الثعبان بالحفرة الثانية ، فمضينا كلما حفرنا حفرة وجدناه أمامنا — حتى حفرنا السابعة .

يقولون : قمنا بإستدعاء رجال الشرطة ، فجاءوا .

(١) سورة المذثر : آية : ٤٢ : ٤٣ .

يقولون : والله ما من أحد كان يصوب زناده تجاه الثعبان إلا وقع مغشياً عليه ، فقمنا باستدعاء الأئمة والعلماء ، فحضرُوا — وانتهى الرأي بهم أن يحملوه على أذرعهم ليشاهدوا ما يحدث .

يقولون : والله ما أن حملناه على أذرعنا حتى طار الثعبان من اللحد على الشاب الميت والتف حوله ، ثم هوى به في قبره . فوالله لقد كنا نسمع تكسير عظامه ، كما تكسر حزمة القراط .

يقولون : فطلبنا أمه فأنت ، فسألناها عن حال ولدها ، فقالت : كان سمحاً طيباً ، وكان يصوم ويزكي ويعمل الخيرات ، إلا أنه كان تاركاً للصلاة لا يؤديها ^(١) .

باب التوبة مفتوح ولله الحمد

— كل إنسان عرف الصلاة وقدرها وعناية الشريعة بها ، ثم يدعها بدون عذر ، وليس له حجة أمام الله عز وجل ، فإن ذلك دليل واضح على أنه ليس في قلبه من الإيمان شيء ، إذ لو كان في قلبه من الإيمان شيء ما ترك هذه الصلاة العظيمة التي دلت النصوص على العناية بها وأهميتها ، والأشياء تعرف بآثارها ، فلو كان في

(١) الويل لك يا تارك الصلاة : محمد عبد الملك الزغبى ص : ٢٢ .

قلبه أدنى مثقال من الإيمان لم يحافظ على ترك هذه الصلاة مع أهميتها وعظمتها .

— فالمسألة خطيرة جداً ، تقتضي الحذر من هذا العمل الشنيع الذي تهاون به اليوم كثير من الناس ، ولكن باب التوبة مفتوح والله الحمد :

فقد قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ (٦٢) ﴾ .

فهلم إلى التوبة ، هلم إلى الصلاة ، وإياك أن يمنعك من التوبة ذنوب تتأفلتها ، وأخطاء حملت همها ، فتب وعد إلى مولاك وأبشر فربك قد ناداك ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ (٢) ﴾ .

(١) سورة مريم : آية : ٥٩ : ٦٢ .

(٢) سورة الزمر : آية : ٥٣ .

تحريم تأخير الصلاة

عن وقتها بدون عذر شرعي

— قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (١) .

— أي : فرضاً مؤقتاً بوقت لا يصح أن تتقدم عليه ، ولا يجوز أن تتأخر عنه إلا لضرورة شرعية ، وقد تقدم ذكرها (٢) .

— وما جعل الله تعالى عذراً في تأخيرها عن وقتها بوجه من الوجوه ، ولا في حالة المطاعنة والقتال .

— فقد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ... ﴾ (٣) .

— وأمر سبحانه وتعالى بالمحافظة عليها في الحضر والسفر والأمن والخوف ، فقال تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿ (٤) .

(١) سورة النساء : آية : ١٠٢ .

(٢) تقدم ذكرها ص : ٤٧ .

(٣) سورة النساء : آية : ١٠٢ .

(٤) سورة البقرة : آية : ٢٣٨ : ٢٣٩ .

— ورخص فيها ما لم يرخص في غيرها حتى لا يبقى عذر لمعتذر
يعتذر به عن عدم إقامتها :

فرخص لمن فقد الماء ، أو عجز عن استعماله أن يصلي بتيمم .
— ورخص لمن عجز عن القيام في الصلاة أن يصلي قاعداً ، فإن
عجز عن القعود صلى على جنب . وما كان ذلك إلا لعناية الإسلام
بالصلاة ، وأمره بالمحافظة عليها .

— هذا : وقد ورد الوعيد الشديد لمن يؤخر الصلاة عن وقتها :
— فقد قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (١) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴾ (١) .

— وقد ورد في الأحاديث تفسيرها : هم الذين يؤخرون الصلاة عن
وقتها .

— وقد سماهم مصليين ، لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها
وعدهم بويل : وهو شدة العذاب ، وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه
جبال الدنيا لذابت من شدة حره ، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة
ويؤخرها عن وقتها . إلا أن يتوب ويندم ويعزم ألا يعود .

— وقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

(١) سورة الماعون : آية : ٤ : ٥ .

الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿١﴾ .

— قال ابن مسعود رضي الله عنه : أخروها عن وقتها .

— وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين : هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر .

ولا يصلي العصر إلى المغرب .

ولا يصلي المغرب إلى العشاء .

ولا يصلي العشاء إلى الفجر .

ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس .

— فمن مات وهو على هذه الحالة ولم يتب وعده الله (بغي) وهو واد في جهنم بعيد قعره ، شديد عقابه .

— وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢) .

— قال المفسرون : المراد بذكر الله في هذه الآية : الصلوات الخمس ، فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ، ومعيشته ، وضييعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين .

(١) سورة مريم : آية : ٥٩ .

(٢) سورة المنافقون : آية : ٩ .

— وَلِهَذَا قَالَ ﷺ : " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ " (١) .

— وَقَالَ ﷺ : " مَنْ حَافِظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا ، وَبُرْهَانًا ، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ، وَلَا بُرْهَانٌ ، وَلَا نَجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ ، وَفِرْعَوْنَ ، وَهَامَانَ وَأَبِي بَنْ خَلَفٍ " (٢) .

— قَالَ ابْنُ الْقِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : تَارَكَ الْمَحَافِظَةَ عَلَى الصَّلَاةِ إِمَّا أَنْ يَشْغَلَهُ مَالُهُ ، أَوْ مَلِكُهُ ، أَوْ رِيَاسَتُهُ ، أَوْ تِجَارَتُهُ .

— فَمَنْ شَغَلَهُ عَنْهَا مَالُهُ : فَهُوَ مَعَ قَارُونَ .

— وَمَنْ شَغَلَهُ عَنْهَا مَلِكُهُ : فَهُوَ مَعَ فِرْعَوْنَ .

— وَمَنْ شَغَلَهُ عَنْهَا رِيَاسَتُهُ وَوِزَارَتُهُ : فَهُوَ مَعَ هَامَانَ .

— وَمَنْ شَغَلَهُ عَنْهَا تِجَارَتُهُ : فَهُوَ مَعَ أَبِي بَنْ خَلَفٍ .

— وَلِتَعْلَمَ : أَنَّ مُؤَخَّرَ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا صَاحِبُ كَبِيرَةٍ .

— فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ مَرَاتٍ ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ .

— وَلَا شَكَّ : أَنَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَبِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

والسنة لا يخرج الصلاة عن وقتها ، بعد أن سمع هذا الوعيد الشديد في كتاب الله المجيد ، وفي أحاديث سيد المرسلين .

ولا يفعل ذلك إلا متهاون في الدين ، وفي شريعة سيد المرسلين ويجب عليه أن يتوب إلى الله ، ويعاهد الله أن يقيم الصلاة في أوقاتها المفروضة ، وإلا فليقرأ قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ .

— وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ . وليس بعد هذا الوعيد وعيد .

— ولكن باب التوبة مفتوح والله الحمد :

فإذا كنت : ممن يؤخرون الصلاة عن وقتها ، بادر وأسرع إلى التوبة ، مخلصاً لله تعالى ، نادماً على ما مضى ، عازماً ألا تعود فقد قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ^(١) .

ولا تنس قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) .

(١) سورة الفرقان : آية : ٧٠ .

(٢) سورة الزمر : آية : ٥٣ .

تحريم نقر الصلاة

وعدم إتمام ركوعها وسجودها

— عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ : " ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ " فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : " ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ " ثَلَاثًا فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ فَمَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلَّمَنِي ، قَالَ : " إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا " (١) .

— وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا صَلَّيْتَ ، وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ (٢) الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا مُحَمَّدًا ﷺ (٣) .

— وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ الْبَذَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) الفطرة : الدين .

(٣) أخرجه البخاري .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ " (١) .

— وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَسْأَلُ النَّاسَ سَرِقَةً الَّتِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ ؟ قَالَ : " لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا " (٢) .

— وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا ، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا " (٣) .

— وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ أَيُّ شَيْءٍ يَعْزُ عَلَيْكَ مِنْ دِينِكَ ، إِذَا هَانَتْ عَلَيْكَ صَلَاتُكَ ، وَأَنْتَ أَوَّلُ مَا تَسْأَلُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ " (٤) .

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

من أسباب الخشوع

في الصلاة

— قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ (١) .

— والخشوع : هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار ، والتواضع والحامل عليه : الخوف من الله ومراقبته (٢) .

— والخشوع : هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل (٣) .

— ومحل الخشوع في القلب ، وثمرته على الجوارح ، والأعضاء تابعة للقلب ، فإذا فسد خشوعه بالغفلة والوساوس فسدت عبودية الأعضاء والجوارح ، فإن القلب كالملك ، والأعضاء كالجنود له فيه يأتَمرون وعن أمره يصدرُونَ ، فإذا عُزل الملك بفقد القلب لعبوديته ، ضاعت الرعية وهي الجوارح .

— وفيما يلي نستعرض طائفة من الأسباب التي تؤدي إلى الخشوع في الصلاة :

(١) سورة المؤمنون : آية : ١ : ٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ، ص : ٤١٤ .

(٣) المدارج ج ١ ، ص : ٥٢٠ .

١- الإكثار من ذكر الله تعالى :

- قلنا : أن محل الخشوع في القلب ، وثمرته على الجوارح .
- فلا بد أن يحيى القلب حتى يخشع ، وبالتالي تخشع الجوارح ولا يمكن ذلك إلا بذكر الله تعالى .
- فالذكر هو شريان الحياة الروحية ، لذلك من لم يوفق له ، أو لم يثابر عليه ، فاقداً لسر الحياة ، فكأنه جسد بلا روح .
- ولذلك قال رسول الله ﷺ : " مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ " (١) .
- فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته .
- وقد قال ابن تيمية رحمه الله : الذكر للقلب مثل الماء للسماك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟
- فكلما أكثر العبد من ذكر الله تعالى كان القلب رطباً ، والجوارح لينة ، فإذا قدتها إلى أمر الله انقادت ، وإذا لم يكن هكذا كان القلب قاسياً والأركان يابسة ، فإذا قدتها لم تنقد .
- وقد قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي

(١) أخرجه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه .

ضلال مُبين ﴿ ١ ﴾ .

— وقد قال رجل للحسن البصري رحمه الله يا أبا سعيد : أشكو إليك قسوة قلب ، قال : أذبه بالذكر .

— وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعالى : ذابت تلك القسوة ، كما يذوب الرصاص في النار فما أذيت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل .

— كما أن الذكر يعطي للذاكر قوة وعون على طاعة الله ، وليس ذلك فحسب ، بل يحبها إليه ، ويسهلها عليه ، ويلذذها له ، ويجعل قرة عينه فيها ، ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والنقل ما يجد الغافل ومن أهم هذه الطاعات الصلاة .

— فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه : أن رجلاً قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ ، فأخبرني بشيء أتشبّثُ به ^(٢) قال : " لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ " ^(٣) .

— فدلّه ﷺ على ما يتمكن به من شرائع الإسلام ، وتسهل به عليه

(١) سورة الزمر : آية : ٢٢ .

(٢) أتشبّث به : أي أتمسك به .

(٣) أخرجه الترمذي .

وهو ذكر الله عز وجل .

— فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره يقوده ذلك إلى فعل كل عمل صالح ، ولا يستعظم شيئاً فيه قربة لله مهما كان .

٢- الاستعداد للصلاة :

— ويحصل ذلك بأمور منها : التردد مع المؤذن ، والإتيان بالدعاء المشروع بعده : " اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ النَّامَةِ ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ " والدعاء بين الأذان والإقامة ، وإحسان الوضوء ، والذكر والدعاء بعده : " أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ رَسُولُهُ " .

٣- الطمأنينة في الصلاة :

— لقول النبي ﷺ للمسي في صلاته : " ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا " (١) .

— والاعتدال معناه : استواء الأعضاء في الركوع ، والسجود

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

والجلوس ، والقيام .

— والطمأنينة معناها : استقرار الأعضاء ، وسكونها ، زمناً يسع

تسبيحة على الأقل عند المالكية ، وبعض الشافعية .

أو ثلاث تسبيحات على الأقل عند كثير من الفقهاء ، وهو الأصح .

— والذي لا يطمئن في صلاته لا يمكن أن يخشع ، لأن السرعة

تذهب بالخشوع ، ونقر الغراب يذهب بالثواب .

٤- تذكر الموت في الصلاة :

— فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى

النبي ﷺ فقال : عِظْنِي وَأَوْجِزْ ، فَقَالَ : " إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ

فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَّعٍ " (١) .

— يعني : صلاة من يظن أنه لن يصلي غيرها ، وإذا كان المصلي

سيموت ولا بد ، فإن هناك صلاة ما هي آخر صلاة له فليخشع في

الصلاة التي هو فيها ، فإنه لا يدري لعل هذه تكون هي الأخيرة .

٥- تدبر الآيات المقرؤة والذكر والدعاء :

— فعلى العبد أن يجتهد في أن يعقل ما يقوله وما يفعله ، ويتدبر

القراءة والذكر والدعاء ، ويستحضر أنه مناج الله تعالى كأنه يراه

(١) أخرجه أحمد ، وهو في صحيح الجامع برقم : ٧٤٢ .

فإن المصلي إذا كان قائماً فإنما ينال ربه .

— والإحسان : " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " (١) .

٦— أن يعلم أن الله يجيبه في صلاته :

— عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمَدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قَالَ مَجَدَّنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ " (٢) .

— وهذا حديث عظيم جليل لو استحضره كل مصلٍّ ، لحصل له خشوع بالغ ولوجد للفاتحة أثراً عظيماً ، كيف لا وهو يستشعر أن

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

ربه يخاطبه ثم يعطيه سؤله .

— وقد قال بكر بن عبد الله المزني : من مثلك يا بن آدم ؟ إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن دخلت ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال تسبغ الوضوء ، وتدخل محرابك ، فإذا أنت قد دخلت على مولاك تكلمه بلا ترجمان .

٧- معرفة كيد الشيطان وعداوته :

— الشيطان عدو لنا ، ومن عداوته قيامه بالوسوسة للمصلي كي يذهب خشوعه ، ويلبس عليه صلاته .

— والوسواس يعرض لكل من توجه إلى الله تعالى بذكر ، أو بغيره لا بد له من ذلك .

— فينبغي للعبد أن يثبت ويصبر ، ويلزم ما هو فيه من الذكر والصلاة ولا يضجر ، فإنه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشيطان ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝ ﴾^(١) .

— وكلما أراد العبد توجهاً إلى الله تعالى بقلبه جاء من الوسوسة أمور أخرى ، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق ، كلما أراد العبد السير إلى الله تعالى ، أراد قطع الطريق عليه .

(١) سورة النساء : آية : ٧٦ .

— ولهذا قيل لبعض السلف :

إن اليهود ، والنصارى ، يقولون : لا نوسوس قال : صدقوا : وما يصنع الشيطان بالبيت الخرب .

— وقد مثل ذلك بمثال وهو :

— بيت فيه : كنوز ، وذخائر ، وجواهر .

— وبيت خال : صفر لا شيء فيه ، فجاء اللص يسرق ، فمن أيها يسرق ؟

بالطبع من البيت المملوء بالكنوز والجواهر ، فإن اللص لا يقصد بيتاً خرباً بالطبع .

— فكذلك العبد : إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه ، فإن قد قام في أعظم مقام وأقربه ، وأغبطه للشيطان ، وأشدّه عليه فهو يحرص ويجهّد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه ، بل لا يزال به يعدّه ويمنيه وينسيه ، ويجلب عليه بخيله ورجله ، حتى يهون عليه شأن الصلاة ، فيتهاون بها فيتركها ، فإن عجز عن ذلك منه ، وعصاه العبد ، وقام في ذلك المقام ، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه ، ويحول بينه وبين قلبه ، فيذكره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخولها فيها ، حتى ربما قد نسي الشيء والحاجة وأيس

منها ، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها .

— وبعض السلف ذكر له رجل : أنه دفن مالا وقد نسي موضعه فقال : قم فصل ، فقام فصلى ، فذكره .

— فقيل له : من أين علمت ذلك ؟ قال : علمت أن الشيطان لا يدعه في الصلاة حتى يذكره بما يشغله ، ولا أهم عنده من ذكر موضع الدفن .

— فعلى العبد : أن يعرف كيد الشيطان له ، فقد أخذ العهد على نفسه بإضلال بني آدم وفتنتهم ، وقال : ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ الْيَقِينُ ﴾ (١) .

— فصار من أعظم كيده صرف الناس عن الصلاة بشتى الوسائل والوسوسة لهم فيها : لحرمانهم لذة هذه العبادة ، وإضاعة أجرهم وثوابهم .

— وقد قال ﷺ : " إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ ، مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا ، تُسَعُّهَا ، تُمْنُهَا ، سُبْعُهَا ، سُدُسُهَا ، خُمُسُهَا ، رُبْعُهَا ثُلُثُهَا ، نِصْفُهَا " (٢) .

— وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ليس لك من صلاتك إلا

(١) سورة الأعراف : آية : ١٧ .

(٢) أخرجه أحمد عن عبد الله بن عَمَّة وهو في صحيح الجامع برقم ١٦٢٦ .

ما عقلت منها ^(١) .

— وهذا هو الذي يسعى إليه الشيطان ويحارب من أجله ، إذهاب
لذة العبادة ، وإضاعة الأجر .

فعليك أن تعرف أخي الكريم : أنك بمجرد أن تدخل في الصلاة
فقد دخلت في حرب مع الشيطان ، وأنت بالطبع لا تدرك ذلك
فهو يُعد لك أسلحته .

فانتبه أنت أيضاً وأعد له أسلحتك واستعن بالله ، واجتهد في كمال
الحضور مع كمال فعل بقية الأمور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٨— مواجهة كيد الشيطان وإذهاب وسوسته :

— عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ التَّقْفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاعَتِي
يَلْبِسُهَا عَلَيَّ ^(٢) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " ذَلِكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ
خَنْزَبٌ ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ ، وَاتَّقِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا "
قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي ^(٣) .

(١) مجموعة الفتاوى ج ٢٢ ، ص : ٦١٢ .

(٢) يلبسها علي : أي يخلطها ويشككني فيها .

(٣) أخرجه مسلم .

— ومن الأدعية العامة لطرد الشيطان :

— مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، كَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ كُلَّهُ .

— ومن قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربه شيطان .

— ومن قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه .

— ولا تنس ذكر الله كثيراً قائماً وقاعداً ومضطجعاً : فإن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان عدوه اللدود الذي يريد أن يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى إلا بذكر الله ، ولا يدخل عليه إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه واقتصره ، وإذا ذكر الله تعالى انخنس وتصاغر وانقمع ، ولهذا سمي : " الوسواس الخناس " .

— فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله تعالى خنس .

— وليس ذلك فحسب : بل بالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان .

قال بعض السلف : إذا تمكن الذكر من القلب ، فإن دنا منه

الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فيجتمع عليه الشياطين — أي يجتمعون على الشيطان الذي حاول أن يقترب من قلب المؤمن — فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسه الإنسي ! ^(١) .

٩- الاجتهاد بالدعاء :

— فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(٢) .

— ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إني لا أحمل هم الإجابة ، ولكن أحمل هم الدعاء ، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه .

— فمسكين من تكاسل عن الدعاء ، فقد سدَّ على نفسه أبواب الخير والعطاء .

لأنه ليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ، ولا أبلغ في حصول المطلوب .

— فعلى العبد أن يلهج بالدعاء إلى الله بأن يجعله من : ﴿ الَّذِينَ هُمْ

^(١) مدارج السالكين ج ٢ ، ص : ٤٢٤ .

^(٢) سورة غافر : آية : ٦٠ .

فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿١﴾ .

— ويدعو بما أحب كأن يقول :

— " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ " (٢) .

— " اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " (٣) .

— " اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ " (٤) .

— " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى ، وَالتَّقَى ، وَالْعَفَافَ ، وَالْغِنَى " (٥) .

— " ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ ﴾ " (٦) .

١٠- معرفة مزايا الخشوع :

— الثناء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة

كقوله تعالى : ﴿ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ

اللَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٧) .

(١) سورة المؤمنون : آية : ٢ .

(٢) أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک وقال : صحيح . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٦) أخرجه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه .

(٧) سورة الأحزاب : آية : ٣٥ .

— وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ (١) هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ (٢) .

— وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ وُضْوءَهُ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ " (٣) .

— وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ، ثُمَّ قَالَ : " مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " (٤) .

— فَرَكَعَتَيْنِ تَقْبَلُ بِقَلْبِكَ عَلَى اللَّهِ فِيهِمَا ، وَلَا تَحَدِّثُ نَفْسَكَ ، قَدْ أَوْجِبُوا لَكَ الْجَنَّةَ وَالْمَغْفِرَةَ ، فَأَيُّ خَيْرٍ وَأَيُّ أَجْرٍ يَعْدِلُ ذَلِكَ .

(١) الفردوس : أعلى الجنة وهم مقيمون فيها على الدوام لا يخرجون منها .

(٢) سورة المؤمنون : آية : ١ ، ٢ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .